وجاءت التزكية الطازجة في الأمس القريب، إذ كان لتجاوز المشهدية والاستعراضية، وتغليب المكتبية الرخوة والمهرجانات التي حلت محل البنية التنظيمية، كأمراض شاعت في الساحة الفلسطينية، تجاوز ذلك بالتوشح بسرية المخابئ والأنفاق والمجموعات وتحركات القيادة، أثره الحاسم في صمود المقاومة اللبنانية في صيف ٢٠٠٦، وتفشيل العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في ٢٠٠٩. ولولا ذلك لأمكن الافتراض أن لدى التكنولوجية العسكرية الإسرائيلية القدرة على إبادة خطوط قتال ومواضع وجود المقاومة، وهنا يمكن التذكير بالضربة الجوية الخاطفة للطيران الإسرائيلي عام ١٩٦٧ وتدمير صواريخ سام في البقاع ودحر المقاومة الفلسطينية من الجنوب اللبناني عام ١٩٨٢.

فدرع الوقاية، ودرء ما أمكن من شر التفوق التكنولوجي والأمني، هو ستار السرية، وهذا ما ضمن استمرار المقاومة الشعبية للقوات النازية التي اجتاحت مساحات هائلة من أوروبا، واستمرار جماعات متنوعة في العراق في العهدين الملكي والجمهوري، وانتصار مقاتلي حرب الغوار على نظام باتيستا في كوبا، التي دأبت على الحركة في غابات السييرامايسترا فلم تسمح لجيش النظام بمحاصرتها وإبادتها، الأمر الذي دفع جيفارا للكتابة (على المغاور أن يتقن المراوغة والانسحاب السريع وأماكن الاختباء، وقد يقطع في ليلة ثلاثين أو خمسين كيلو متراً)[١٧٣].

أما حسن حمادة فقد استخلص، في كتابه عن حزب الله، أن الحفاظ على السرية كان من (أبرز الأسباب التي مكنت المقاومة الإسلامية من تجنب العديد من الضربات... فمن القيادة إلى القاعدة كان حزب الله يتحلى بأعلى درجات التكتم... لقد استطاعت المقاومة تحقيق المعجزات العسكرية بفضل اتباع هذه السياسة... إن أحد أهم أسرار انتصار حزب الله كان وسيبقى هو السرية الشديدة).[١٧٤] بما ينسجم مع الفهم الديني (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان).

---

١٧٣) د. جيفارا، تشي. مبادئ حرب الغوار. دار الفارابي. بيروت ١٩٩٨. ص٢٧

١٧٤) حمادة، حسن. سر الانتصار. دار الهادي. ص١١٠ – ١١١